العلاقات السياسية بين الدولة الأموية

في الأندلس ودول المغرب

أ.د. عبدالعزيز فيلالى

أستاذ التاريخ ورئيس جامعة الأمير عبدالقادر سابقاً

بقسنطينة الجزائر

دار الفجر للنشر والتوزيع

القاهرة

حقوق النشر

رقم الإيداع	الطبعة الثانية 2001
98/17109	جميع الحقوق محفوظة للناشر
الترقيم الدولى I.S.B.N.	
977-5499-47-X	

دار الفجر للنشر والتوزيع

4 شارع هاشم الأشقر ـ النزهة الجديدة ـ القاهرة

تليفون : 2944119 (00202) **فاكس :** 2944094 (00202)

لا يجوز نشر أى جزء من الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع
أو نقله على أى نحو أو بأى طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية
أو بخلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة ومقدماً

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء ...

إيمانا مني بأن الأمَّ مدرسة ، وأن حظها التجريبي هو البيت ، وأن ميدانها العملي والتربوي هو الأسرة . أهدي باكورة إنتاجي وثمرة جهدي إلى أم أولادي .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أ ـ أهمية الموضوع :

لا شك أن العلاقة بين الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، كانت علاقة قوية ومتينة في أغلب الأحيان ، وبخاصة في عصر الولاة ، لأن الأندلس في ذلك الوقت ، كانت امارة غير مستقلة ، تتبع أمير المغرب من الناحية الادارية والسياسية ، أما في عهد الدولة الأموية في الأندلس ، فقد ظلت هذه العلاقة تتذبذب بين الشدة والفتور ، وبين الحرب الباردة والاصطدام المسلح ، متأثرة بالصراعات السياسية والمذهبية في المنطقة ، ومما ساعد على سهولة الاتصال بين العدوتين ، ضيق المسافة بينهما ، فالساحل المغربي يكاد يتصل اتصالا مباشرا بالساحل الأندلسي ، عند مضيق جبل طارق (1) ، حتى لقد أصبح تاريخ الغرب الاسلامي وحضارته ، يكاد يتمم بعضه بعضا ، لهذا أطلق المؤرخون على كل من المغرب والأندلس اسم « العدوة » ، اعترافا منهم بهذه العلاقة المتينة .

---

(1) عرف مضيق جبل طارق عند اليونانيين القدامى ، باسم «أعمدة هرقل» ولما جاء الفتح العربي الإسلامي ، إلى هذه المنطقة ، أطلق العرب عليه أسماء عديدة منها : مضيق المجاز أو خليج الزقاق ، أو بحر الزقاق أو مضيق جبل طارق ، وهي التسمية المشهور بها حاليا ، ويبلغ طوله نحو ثمانين كلم ، ويصل عرضه في بعض نواحيه إلى أربعة عشر كلم ، وقد أشار الجغرافي الأندلسي العذري إلى ضيق هذه المسافة بقوله : «والمسافة بين جبل طارق ومدينة سبتة قريبة جدا يرى الناس سورها ودورها ، ويرون ثياب العطارين بها ، وتتحرك السفينة من مرسى الجزيرة الخضراء عند بزوغ الشمس ، فلا ترتفع قدر رمحين إلا وقد رست بمدينة سبتة » ، راجع كتاب ترصيع الأخبار ، ص 118 ، 119 وكذلك كتاب الدكتور أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 24 .

وقد ثبت بمرور الزمن أن هذا المضيق ، لا يشكل عقبة أمام الانتشار الحضاري والبشري والعسكري منذ أقدم العصور ، وهو الأمر الذي دفع بشعوب العدوتين الأندلسية والمغربية ، الى التنافس والتسابق والتصارع ، من أجل السيطرة والتحكم في هذا المجاز الضيق ، الذي يعتبر مجازا حيويا واستراتيجيا هاما لكلا الجانبين .

ومما تجدر ملاحظته هو أنه رغم حيوية هذا الموضوع وأهميته ، لم يلق من الباحثين عناية كاملة ، حيث أني لم أعثر على دراسة متكاملة ومستقلة ، للعلاقة السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ، وبين الدول المغربية ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار موضوع بحثي هذا ، محاولة جديدة في هذا المضمار ، وبصورة خاصة تلك الفترة المتعلقة بعصر الامارة ، التي دامت نحو قرنين من الزمن (138هـ ـ 316هـ / 755 ـ 928م) ، فلم يعن بها الباحثون ، وظلت غامضة حتى الآن ، وربما يرجع السبب في عزوفهم عن هذه الفترة بالذات ، إلى قلة ما كتب عنها ، وعدم وفرة المصادر الأصلية التي تتناولها .

ولعل أكثرما كتب وألف عن العلاقة المغربية الأندلسيه ، في عهد بني أمية ، لا يتعدى معظمه ، مقالات قصيرة مستقلة ، أو مانجده في ثنايا الكتب التاريخية العامة ، وعلى الرغم من قيمة هذه الكتب والمقالات ، وعظيم فائدتها في أنارة الطريق أمام الباحث ، الا أنها لا تشفي غليله ، لأن معظمها يتحدث عن فترة الصراع الأموي الفاطمي فقط (1) .

---

(1) أول المصنفات كتاب المستشرق الفرنسي ، ليفي بروفنسال الشامل لتاريخ الأندلس وحضارتها ، في عهد الدولة الأموية .

وطبع طبعة أخرى في بيروت سنة 1960 م .

كما ترجم المؤلف ذاته الجزء الخاص بسياسة عبد الرحمن الافريقية إلى اللغة الإسبانية ، ونشره بمجلة الأندلس

La politica de Abde Al RAHMAN III Al Andalus VI. XL fas. II 1946

وكذلك مقال الدكتور المرحوم حسن إبراهيم حسن .

relations betmeen the Fatimids in North Africa and Egypt and the Ummayyads in spain during the 4 h century A.H (10 h century A.D) Belltin of the faculty of arts Fouad I University vol. X parts II decembre 1948.

ومقال الدكتور أحمد مختار العبادي :

سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ،

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد عام 1957 وكتاباه القيمان :

ـ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار المعارف بمصر 1968 م

ـ في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، بدون تاريخ .

والحقيقة أنني ترددت كثيرا في بداية الطريق ، وخشيت من مغبة ركوب صعاب هذا الموضوع ، وخوض غماره ، لطوله وتشعبه ، وقلة مصادره ، كما خشيت أيضا . من أن تصرفني قلة المادة عن استيفاء جوانب البحث ، وإماطة اللثام عن جميع أبعاده ومراحله ،ولكني عقدت العزم قدما أن أبحث وأجمع كل شاردة وواردة ، حول تاريخ المغرب والأندلس ، من بطون الكتب المختلفة ، وبين ثنايا المصنفات العديدة ، التي وضعها قدامى المؤرخين والاخباريين المغاربة والأندلسيين والمشارقة ، التي تم لي الاطلاع عليها ، في المكتبات الخاصة والعامة في كل من الشقيقة الكبرى مصر ، وكذلك في الجزائر وليبيا وتونس ، وأسعفني الحظ ، عندما عثرت على الجزء المخطوط من كتاب « المقتبس » لابن حيان القرطبي (ت 469 هـ / 1076 م) ـ عمدة مؤرخي الأندلس ـ الخاصة بعهد عبد الرحمن الناصر ، مصورة « ميكروفيلم » ، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة عند ذلك ظفرت ببغيتي ، ووجدت فيها طلبتي ، بما تحتويه من مادة غزيرة ومعلومات جديدة .

ولا أريد أن أتكلم عن صعوبة المهمة ، وما صادفني من عناء ومشاكل ذاتية ، لأنها تصادف كل باحث يقدم على ارتياد هذا الميدان ، وانما أود هنا أن أتعرض لمشكلة واجهتني كما تواجه كل باحث في التاريخ الاسلامي عموما ، وتاريخ الغرب الاسلامي بصورة خاصة ، وهي فقدان المصنفات التاريخية المغربية والأندلسية الأصيلة ، المعاصرة لموضوع بحثي (1) ، فقد عبثت بها يد الزمان ، وأصابها التلف والضياع ، ربما من جراء الصراع الداخلي ، الذي عم هذه المنطقة بين القوى السياسية والمذهبية ، التي استولت على زمام الأمور فيها ، أو نتيجة الغزو الأجنبي ، الذي عبث بالتراث المغربي الاسلامي وأطاح به ، ولم تصلنا منها ، الا تلك النتف والشذرات ، المتفرقة هنا وهناك في المصادر العربية المغربية والأندلسية والمشرقية ،

---

(1) لم تصلنا كثير من كتب المؤرخين ، والأخباريين المغاربة والأندلسيين ، المعاصرة لموضوع البحث مثل : كتاب « مغازي افريقية » ، لعيسى بن أبي المهاجر (ت في أواخر القرن الثاني الهجري) ، وكتاب عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (المتوفى في الربع الأول من القرن الثالث الهجري) ، وكتاب : الأمير محمد بن زيادة الله بن الأغلب ، الذي يدون فيه أخبار أسرته إلى ما قبل وفاته سنة (283 هـ / 896 م) ، وكتاب : العبر لابن أبي الفياض (ت 459 هـ / 1066 م) ، وكتاب يوسف الوراق (ت 363 هـ / 973 م) ، وتاريخ الرقيق القيرواني عمدة مؤرخي المغرب (ت في القرن الخامس الهجري) وأحمد ابن محمد الرازي (ت 344 هـ / 955 م) ، وابنه عيسى الرازي (ت 379 هـ / 989 م) ، وكذلك معظم مصنفات أبو التاريخ الأندلسي ابن حيان القرطبي (ت : 469 هـ / 1076 م) .

المتأخرة عن الفترة التي أبحث فيها ، ولا أكون مبالغا اذا قلت حتى أن هذه المصادر لا يمكن الاطمئنان الى بعضها ـ ان لم تكن معظمها ـ لما يشوبها ، من كتابات ذات اتجاهات سياسية مختلفة ، وأهواء عنصرية ، ونعرات اقليمية ، وولاءات مذهبية ، أي المتمثلة في المصادر السنية ، والخارجية والشيعية والمغربية ، ذات الطابع الاقليمي المحلي ـ وماتزخر به هذه المصادر من مغالطات وتحريفات ، فضلا عن كونها تحمل في طياتها روايات ذات طابع أسطوري وخرافي ، ومبالغات تفوق أحيانا حد المعقول ، هذا بالاضافة الى أن غموض المعلومات في بعض الأحيان يجعلها تحتاج إلى التأويل والاستنباط ، وهو الأمر الذي يتطلب من الباحث استخدام مايمكن استخدامه ، من أساليب المنهج العلمي ، في صياغة البحث بالتمحيص والتحليل والتقميش والنقد والمقارنة ، وهذا ماحاولت ـ على قدر استطاعتي ـ أن أقوم به ، على النحو الذي يهيىء لي أن أثري به موضوع الرسالة ، حتى لا يكون مجرد صياغة لفظية ولغوية لما ورد وتردد في المدونات والحوليات التاريخية ، مستعينا بالمصنفات الحديثة التي سلكت هذا السبيل ، سواء منها المراجع العربية أو الغربية ، وهذا هو الهدف الذي كنت أنشده ، منذ البداية ، حرصا مني على تقديم خدمة متواضعة ، لتراثنا العربي الاسلامي المجيد ، في منطقة عزيزة على نفسي ، أنتمي اليها ، وتربطني بها أواصر المحبة والوفاء ، الا وهي منطقة الغرب الاسلامي .

ولا شك أني أفدت كثيرا ، من هذه الدراسة ، التي أتاحت لي أن أعيش بين صفحات مشرقة ، من ماضينا المغربي البعيد ، كما تعرفت على اقطابه العلماء والمؤرخين القدماء وعلى رواده الباحثين المعاصرين .

ولا أقول بأني بلغت الكمال فيما كتبته ، وتوصلت اليه ، وإنما يكفي أن أقول ، بأني أسهمت بنصيب متواضع في ابراز جانب من العلاقة المغربية الأندلسية في هذه الفترة ، وكشفت النقاب عما كان غامضا فيها .

وقد قسمت البحث الى مقدمة وأبواب ثلاثة ، يشتمل كل باب على فصلين ، وقد ذكرت في مقدمة البحث أهمية الموضوع ، والمنهج الذي سلكته ، وأتبعت ذلك بدراسة تحليلية لأهم مصادر البحث ومراجعه ، وخاتمة وضمائم .

أما الباب الأول وهو : « سياسة الدولة الأموية في الأندلس نحو المغرب في عصر الإمارة » فقد جعلته في فصلين ، تحدثت في الفصل الأول ، عن طابع

عصر الولاة في المغرب والأندلس ، وعلاقة كل منهما بالآخر ، وذكرت تدفق الهجرات المغربية والعربية من بلاد المغرب الى بلاد الأندلس ، وحددت أماكن استقرارها ، وتعرضت بشيء من الايجاز الى سياسة بني أمية القائمة على محاباة العنصر العربي ، دون غيره من العناصر الأخرى ، التي اعتنقت الاسلام ، وبصورة خاصة الى سياسة بعض الولاة العرب التعسفية في بلاد المغرب ، وما نتج عنها من تفشي روح العصبية القبلية العربية ، لميل الخلفاء الى المضرية حينا ، والى اليمنية حينا آخر. وانتشار المذهب الخارجي بين المغاربة لأنه يتناسب مع وضعهم الاجتماعي والسياسي ، واضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، التي أدت الى اندلاع ثورة مغربية شاملة ضد الولاة العرب ، استقل المغاربة على أثرها بالمغربين الأوسط والأقصى ، عن السلطة المركزية في دمشق ، رغم مابذلته الجيوش الأموية الافريقية والأندلسية ، من جهود مكثفة في سبيل اعادتهما الى حظيرة الخلافة ، وتطرقت الى انتشار عدوى هذه الثورة بين مغاربة الأندلس ، الذين لم يتوانوا عن القيام لتأييد مطالب اخوانهم ، في بلاد المغرب ، وعللت ذلك بالتقارب الاجتماعي ، الوثيق بين المغرب والأندلس في ذلك الوقت .

وكذلك تحدثت عن عبور طالعة بلج بن بشر ، الى العدوة الأندلسية ، لمؤازرة أميرها عبد الملك بن قطن . وكيف حدث بعد ذلك صراع دام بين هذه الطالعة الشامية وبين البلديين الأندلسيين ، وتطور هذا الصراع الى حرب شديدة ، بين الكلبيين والقيسيين ، وما نتج عنه من فوضى سياسية ، واضطرابات اجتماعية ، وتناقضات قبلية ، هزت وحدة المسلمين في الأندلس ، وما جره هذا الصراع لبلاد الأندلس من مجاعة حادة ، اضطر خلالها الكثير من العرب والمغاربة ، الى مغادرة البلاد والعودة الى المغرب . وتحدثت عن فرار عبد الرحمن بن حبيب ـ أحد أقطاب هذه الحرب الأهلية ـ الى العدوة المغربية ، على أثر قدوم الوالي أبي الخطار الحسام الى قرطبة . وتمكن عبد الرحمن من الاستيلاء على ولاية افريقية ، وطرد أميرها الشرعي حنظلة بن صفوان . وعن تولية أحد أفراد البيت الفهري وهو يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة إمارة الأندلس ، وكيف أصبح الغرب الاسلامي تتزعمه هذه الأسرة .

وأشرت الى نضالها في اخماد الفتن الداخلية ، وختمت الفصل بدخول عبد الرحمن بن معاوية الأموي الى العدوة الأندلسية والاستيلاء على الامارة فيها .

أما الفصل الثاني : فقدخصصته للعلاقة الأندلسية المغربية في عهد الامارة ، وتحدثت فيه بايجاز ، عن قيام الدولة الأموية في الأندلس ، والجهود التي بذلها عبد الرحمن الداخل في تأسيسها ، وحللت سياسة هذا الأمير في بلاد المغرب ، والتي كانت تقوم على استمالة القبائل المغربية ، واستقطاب ابنائها للخدمة في جيشه ، وتحريضها ضد ولاة بني العباس في افريقية . ثم انتقلت بعد ذلك الى ذكر الأحداث التي وقعت بالعدوتين ، بعد وفاة عبد الرحمن الداخل ، والمحاولة التي قام بها الأمير الحكم بن هشام في اقامة علاقة ودية ، مع الادارسة لمواجهة عدوهم المشترك ، وهم الأغالبة ممثلوا الدولة العباسية في افريقية ، وكيف حدثت الجفوة بينهما ، عندما استقبل ادريس الثاني العائلات الربضية وأنزلهم في عاصمته « فاس » ، وخصصت جزءا من هذا الفصل ، للحديث عن الصلات التجارية ، بين العدوتين في هذه الفترة ، موضحا الدور الذي لعبه الرستميون الجزائريون أصحاب « تاهرت » . في التبادل التجاري كوسطاء في نقل الذهب وريش النعام والجلود والرقيق الأسود من السودان ، ومختلف بضائع ومواشي المغرب الى بلاد الأندلس ، وكيف أصبحت « تاهرت » هي الجسر القوى ، الذي يربط الأندلس ببلاد المغرب .

وكذلك أشرت الى الدور ، الذي لعبته الجاليات الأندلسية المقيمة على طول السواحل المغربية ، في تنشيط الحركة التجارية بين العدوتين ، وشرحت بالتفصيل مظاهر العلاقة الطيبة المبكرة بين حكومة قرطبة وامامة « تاهرت » الرستمية ، والتعاون الصادق بينهما ، في الميدان السياسي والاقتصادي والعسكري ، مبينا مدى استعانة بني أمية بالخبراء الرستميين ، في ادارة أعمالهم ، وقيادة جيوشهم ، مما أدى الى وجود تحالف قوى بين الدولتين ، لم تلبث أن أنضمت اليه دولة بني مدرار في سجلماسة ، ودولة بني صالح في « نكور » ، ودولة برغواطة في « تامسنا » . ولا شك أن الهدف الأساسي من وراء هذا التحالف هو تطويق الأدارسة العلويين في فاس غربا ، وعزل الأغالبة في القيروان شرقا . وأشرت إلى أحداث الفتن الداخلية ، التي وقعت في الأندلس ، في نهاية القرن الثالث الهجري ، وصلتها باحداث المغرب ، وركزت الكلام فيها بصفة خاصة ، عن صلات الثائر ، عمر بن حفصون بالأدارسة والأغالبة ثم الفواطم . وختمت الفصل بتولية الأمير عبد الرحمن الثالث متعرضا للجهود ، التي بذلها للقضاء على ثورة ابن حفصون وغيرها ، من الثورات الداخلية ، والخطوات التي اتخذها في سبيل توحيد ، بلاده وتقوية جيوشه وأساطيله ، وحصونه لمواجهة الخطر الفاطمي .

أما الباب الثاني : وهو « سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين : عبد الرحمن الناصر ، والحكم المستنصر » ، فقد خصصت الفصل الاول منه لسياسة عبد الرحمن الناصر المغربية ، تناولت فيه بالتفصيل ، النشاط الدعائي والجاسوسية ، والحرب الباردة بين الخلافتين ، الأموية والفاطمية ، والاجراءات التي اتخذها عبد الرحمن الناصر ، لمجابهة الانتشار الفاطمي ، بحيث أعلن نفسه خليفة للمسلمين ، وعمل على اصطناع أمراء المغرب مثل : الأدارسة ، وبني صالح أصحاب نكور ، ورؤساء قبائل زناتة ومصمودة ومكناسة وغيرهم من المغاربة ، المتحاشين الى الدعوة الأموية ، وتحريضهم على قتال الفواطم ، وحلفائهم الصنهاجيين . وقد تجسدت سياسة عبد الرحمن الناصر المغربية . في الوفود الكثيرة التي كانت ترد بلاطه ، مزودة بالهدايا المغربية الجميلة ، وبالرسائل الرسمية العديدة ، التي تتضمن تجديد الولاء والطاعة ، والاعتراف بأحقيته في الخلافة دون الفواطم وبني العباس ، وتشتمل أيضا على أخبار مستفيضة ، عن بلاد المغرب وأحواله ، يشرحون فيها سياستهم وأعمالهم ازاء جيرانهم الفواطم ، وعما أحرزوه من انتصارات حاسمة على الجيوش الفاطمية ، وحلفائهم مما أدى الى تقلص النفوذ الفاطمي ، وانتشار النفوذ الأموي ، وتطرقت الى الوفود العائدة من بلاط قرطبة محملة بالأموال ، والخلع والالطاف الأندلسية الكثيرة ، والى سفراء عبد الرحمن الى هذه القبائل ، تحثهم على مقاتلة الشيعة وقطع دابرهم من بلاد المغرب ، وكذلك استئصال شأفة بني العباس ، حتى يتمكن من توحيد العالم الاسلامي تحت سلطانه ، وبذل في سبيل ترويج تلك الأموال الباهضة ، كما أنه لم يتأخر عن توجيه العساكر والرماة والأساطيل الى شواطيء العدوة المغربية لتساند حلفائه ، وكذلك الحال بالنسبة للادارسة ، الذين كانت وفودهم لا تنقطع عن قرطبة ، لتقديم الطاعة ، والتماس العون ، واللجوء الى الناصر لحل مشاكلهم وخلافاتهم . وتناولت بالحديث أيضا قيام عبد الرحمن الناصر باحتلال الثغور الشمالية المغربية مثل : مدينة سبتة ، ومليلة ، وطنجة ، وأخضاع جراوة وأصيلا ، وجزيرة أرشقول ، ولم تلبث هذه الثغور أن صارت قواعد أموية تحمي ظهرهم ، وتخرج منها الأساطيل الى مختلف الشواطيء المغربية لحماية حلفائهم ، وارهاب عدوهم واخضاع الخارجين والمناوئين .

وتحدثت أيضا عن المعونات العسكرية والاقتصادية ، التي كان عبد الرحمن الناصر يرسلها الى حلفائه في المغرب ، على شكل أساطيل وأموال ، وأطباء ومهندسين

وبنائين لبناء ما أفسدته الحروب ، وانشاء الحصون والمدن والقلاع ، وعندما قام أبو يزيد النكاري (صاحب الحمار) بثورته ضد الدولة الفاطمية ، لم يتردد الخليفة عبد الرحمن الناصر في تأييده ومساعدته .

وأشرت الى الوفود المغربية العديدة ، التي استقبلها الناصر مثل ، وفود ابي يزيد ، والقيروان ، وزناته ، ومكناسة ، ووفود مدينة أصيلا وجزائر بني مزغنة (مدينة الجزائر الحالية) ، ووفود الأدارسة وغيرهم ، وعن محاولة اباضية افريقية الاستعانه بالناصر ضد الفواطم . وختمت حديثي عن هذا الصراع بالتصادم البحري ، الذي وقع بين الأساطيل الأموية ، والفاطمية عند السواحل الافريقية والأندلسية . وعن تحالف عبد الرحمن مع أعداء الدولة الفاطمية . من ملوك أوروبا ، مثل ايطاليا ، وأباطرة الدولة البيزنطية ، والأخشيديين أصحاب مصر .

أما الفصل الثاني من هذا الباب : فيتضمن سياسة الحكم المستنصر نحو دول المغرب ، وهي استمرار لسياسة والده ، التي تقوم على محاربة النفوذ الفاطمي في المغرب ، وتحصين حدود دولته الجنوبية ، وبذل الأموال في سبيل كسب طاعة أمراء العدوة المغربية ، ثم تطرقت بالحديث عن بني زيري الصنهاجيين ، بصفتهم حلفاء الفاطميين وموضع ثقتهم ، وورثتهم في حكم افريقية والمغرب ، بعد انتقال الفاطميين الى مصر ، وأشرت الى أن هذه السياسة التقريبية ، التي اتبعها الفاطميون نحو الزيريين ، فقد أثارت غضب بعض كبار رجال دولتهم ، أمثال جعفر بن علي وأخيه يحي وأتباعهما ، حكام الزاب والمسيلة ، وفرارهم جميعا ، الى بلاط الخليفة الأندلسي الحكم المستنصر ، الذي رحب بمقدمهم واتخذهم عونا له ضد الفاطميين وحلفائهم الزيريين في المغرب .

وتكلمت بعد ذلك عن الحملة الانتقامية ، التي شنّها بلكين بن زيري على المغربين الأوسط والأقصى ، مبينا أن هذه الحملة ، وان كانت قد فشلت في انتزاع الثغور المغربية ، من أيدي الأمويين ، الا أنها شجعت الأدارسة على القيام بثورة عامة ضد الأمويين ، بقيادة زعيمهم الحسن بن جنون ، الذي قطع دعوة بني أمية واستولى على طنجة وتطوان ، والمنطقة الجبلية شمال وادي لكوس ، وتمركز في قلعة جبلية حصينة تعرف بقلعة النسر ، عند ذلك اضطر الحكم المستنصر ، الى تغيير سياسته المغربية ، القائمة على التستر وراء المغاربة ، وتدخله تدخلا عسكريا مباشرا في بلاد المغرب ، للمحافظة على نفوذه ، ووضحت كيف جهز لهذه المهمة ، معظم

جيوشه الأندلسية والمغربية ، واساطيله البحرية ، وولى عليها خيرة قواده أمثال : قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس ، والقائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن ، وقائد الثغور يحي التجيبي ، هذا الى جانب الشعراء والقضاة والأمناء ، للقيام بمهمة الاعلام والتخابر ، فضلا عن القبائل المغربية الحليفة التي انضمت الى الجيوش الأندلسية ، وبهذه القوة الضاربة استطاع الحكم المستنصر أن يهزم الأدارسة ويأسر زعيمهم « الحسن بن جنون » ، وان يدعى له على منابر العدوة المغربية .

وتكلمت بعد ذلك عن النفقات الباهظة ، التي تكبدتها هذه السياسة الأموية في المغرب ، ومانتج عنها من أزمات اقتصادية وتغيرات سياسية ، أدت الى السماح للأدارسة بمغادرة الأندلس ، تخلصا من نفقاتهم ، ولجوئهم الى الفاطميين في مصر ، فصاروا عونا لهم ضد النفوذ الأموي في المغرب فيما بعد .

أما الباب الثالث : « وهو سياسة الأمويين نحو دول المغرب منذ وفاة الحكم حتى سقوط الخلافة الأموية » ، فقد أفردت الفصل الأول فيه ، لسياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر هشام المؤيد بالله ، وبينت فيه سياسة الحاجب المنصور بن أبي عامر في المغرب ، بعد أن استبد بحكم الأندلس ، وقضى على منافسيه ، وحجر على الخليفة الطفل هشام المؤيد بالله ، وشرحت بالتفصيل ، سياسة التقرب والتودد ، التي سلكها المنصور ، نحو المغاربة ، واستدعائهم للخدمة في جيشه مغدقا عليهم الأموال ، والوظائف القيادية العالية ، حتى كون منهم جيشا ضخما ، مكنه من تنفيذ مشاريعه وغزواته ، في اسبانيا المسيحية شمالا ، وفي بلاد المغرب جنوبا . وأوضحت أن سياسة المنصور المغربية ، كانت تسير على نفس الدرب ، الذي سلكه الناصر لدين الله ، والحكم المستنصر من قبله ، وهو ضرورة الحفاظ على النفوذ الأموي في بلاد المغرب ، لتكون خطا دفاعيا أماميا ، ضد الخطر الفاطمي ، وقد نجح المنصور في سياسته المغربية نجاحا كبيرا ، مكنه في أن يضم مناطق مغربية جديدة تحت سلطانه ، حيث بلغ نفوذه من السوس الأقصى وسجلماسة جنوبا ، الى اقليم تلمسان وتاهرت وشلف والزاب شرقا ، وعلى الرغم من نجاح هذه السياسة العامرية المغربية ، الا أنها تعرضت لمقاومات وثورات وحملات ، من قبل الصنهاجة والأدارسة ومغراوة الزناتية ، فقد قام بلكين بحملة قوية الى المغرب الأوسط والأقصى ، حتى شارف أسوار سبتة قاعدة الأمويين ، ولكنه لم يستطع اقتحامها ، لأن المنصور أعد له بظاهرها جيشا أندلسيا مغربيا مشتركا ، ردَّ بلكين على أعقابه . أما الهجوم الثاني ،

فقد كان بقيادة زعيم الأدارسة ـ السابق الذكر ـ « الحسن بن جنون » ، الذي عاد من مصر ، تدفعه في ذلك رغبته الشديدة في أحياء دولة آبائه وأجداده من جديد ، لكن المنصور كان له بالمرصاد ، فوجه اليه جيشين أحدهما بقيادة ابن عمه « عسقلاجة » ، والثاني بقيادة ابنه عبد الملك ، وانتقل هو الى الجزيرة الخضراء ، مقر عملياته الحربية يدبر منها معاركه ، ويراقب منها تطورات الأمور والأحداث عن كثب ، وانتهت هذه الثورة بالقضاء عليها وقتل صاحبها . وأما الثورة الثالثه فقد كانت بزعامة رئيس زناتة المغراوي ، زيري بن عطية ، الذي أنكر على المنصور استحواذه على السلطة ، وانفراده بالملك ، وحجره على الخليفة الشرعي ، هشام المؤيد ، ويبدو أن هذه المسوغات التي اتخذها زيري ماهي الا وسيلة للاستقلال ببلاد المغرب ، لكن المنصور ، استطاع أن يطيح بهذه الثورة ، وأن ينزل بالزعيم المغراوي هزيمة نكراء ، وأن يعيد النفوذ الأموي الى ربوع المغرب . وختمت الفصل بالاشارة الى ثورة أبي ركوة الأموي ببرقه ، ضد الفواطم ، وانتشارها حتى وصلت الى أحواز الجيزة ، وحتى كادت أن تطيح بالفواطم ، لولا صمود جيوشهم وتمكنها من قتل أبي ركوة الأموي ، والقضاء على ثورته وبهذه الثورة أسدل الستار على الصراع الأموي الفاطمي ، لأن الخلافة الأندلسية ، دخلت مرحلة من أسوأ مراحلها ، وهي مرحلة الضعف والإنحـلال .

أما **الفصل الثاني** : من هذا الباب فقد جعلته لسياسة الأمويين نحو دول المغرب ، في فترة الانتقال ، ما بين هشام المؤيد ، وسقوط الدولة الأموية في الأندلس ، وتحدثت فيه عن سقوط الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن شنجول بن المنصور ، واستلاء « ابن عبد الجبار المهدي الأموي على الخلافة في قرطبة ، وقيامه باضطهاد المغاربة في الأندلس ، واظهار بغضه وكراهيته وحقده لهم ، مما سبب في اندلاع الحرب الأهلية بين أهل قرطبة وبين المغاربة وأوضحت بأن هذه الفتنة ، لم تكن فتنة بربرية مغربية كما أطلق عليها الأندلسيون ، وانما هي فتنة « ابن عبد الجبار المهدي » ، الذي أثارها وأوقد نارها بهذه السياسة . وقد تمخض عن هذه الفتنة انقسام أهل الأندلس الى قسمين : ـ بحيث التف الأندلسيون حول المهدي ، بينما أنتخب المغاربة « سليمان المستعين بالله » ، وكيف لم يتورع الفريقان في الاستعانة بالنصاري ، وتكلمت عن عبور علي بن حمود الأدريسي ، الذي كان من قواد المستعين الى مدينة « سبتة » واستيلائه عليها باسم امامه المستعين بالله ، واقامة الدعوة له فيها .

وتعرضت كذلك الى الوفد الذي قدم الى قرطبة من الزناتيين أصحاب طرابلس الغرب ، يلتمس الاعانة من « المهدي » لفك الحصار ، الذي ضربه عليهم نصير الدولة ، صاحب افريقية الصنهاجي ، وابرزت كيف لم تدم هذه العلاقة طويلا ، بسبب الأوضاع المتدهورة في كل من طرابلس وقرطبة ، وتحدثت عن استيلاء « المستعين بالله » ، للمرة الثانية على « قرطبة » ، وتقليده جنوب الأندلس ، وشمال المغرب الأقصى لآل حمود الأدارسة . بحيث عين عليا بن حمود على مدينة سبتة ، وأخاه القاسم على طنجة وبلاد غمارة والجزيرة الخضراء ، وبهذا أصبح المجاز في يد الأسرة الحمودية العلوية ، وتطرقت الى قيام علي بن حمود على الخليفة « المستعين » ، وعبوره من سبتة بجيشه المغربي الى مالقه ، ومنها الى قرطبة ، واستيلائه على الخلافة بمساعدة صناهجة غرناطة ، وصقالبه المرية ، وكيف انتقلت الخلافة من يد الأمويين ، الى يد الحموديين العلويين الهاشميين ، الذين لم يلبثوا أن أنقسموا على أنفسهم ، ودخلوا في صراع على السلطة ، أدّى بهم في النهاية الى تقلص سلطانهم الى جنوب الأندلس وشمال المغرب الأقصى ، وعودة الخلافة من جديد الى البيت الأموي ، الى أن أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور انتهاء رسم الخلافة الأموية جملة سنة 422 هـ / 1031 م . وأوضحت أن النفوذ الأموي في بلاد المغرب ، قد زال بزوال الدولة العامرية وقيام الفتنة في الأندلس ، بحيث استقل المغاربة بنواحيهم وأعمالهم ، في العدوة المغربية ، التي تعرضت هي الأخرى لنفس الحالة التي تعرضت لها بلاد الأندلس . فقد ظهرت بعض الامارات في سلا وفاس ، وغمارة وسجلماسة ، وكذلك الدولة الزيرية الصنهاجية لم تسلم من هذا الانقسام ، فقد قام الفرع الحمادي الصنهاجي ، بتأسيس امارة له في اقليم الزاب ، وجعل عاصمته قلعة بني حماد ، منشقة عن امارة افريقية .

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث ، وأتبعتها بضمائم عدة ، تضمنت مراسلات رسمية بين زعماء المغرب ، وعبد الرحمن الناصر لدين الله عاهل الأندلس .

وفي الختام لا يفوتني بهذه المناسبة أن أتوجه بخالص شكري وامتناني وعرفاني وتقديري ، الى أستاذي الفاضل الدكتور أحمد مختار العبادي ، رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الاسلامي ، بكلية الآداب بجامعة الأسكندرية ، الذي فتح لي صدره ومنحني الكثير من علمه وكتبه ووقته رغم كثرة انشغاله ، وعما أولاني به من

رعاية وعطف ، وعما أسداه الي من نصح ورشاد ، فجزاه الله عني وعن العلم خير جزاء ومن الله السداد والتوفيق ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

ب ـ عرض وتحليل لأهم مصادر البحث :

اعتمدت في بحثي هذا ، على مجموعة كبيرة من المصادر العربية الأصلية ، منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع ، كما استفدت كثيرا من المراجع الحديثة العربية والأجنبية ، التي تعرضت لموضوع البحث ، سواء من قريب أو بعيد ، وسوف أقصر تحليلي على أهم المصادر ، التي اعتمدت عليها في جمع مادة هذه الرسالة ، مراعيا في ذلك ترتيبها الزمني ، واستهلها بكتب التاريخ :

1 ـ « أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها » .

لمؤلف مجهول ، سجلها صاحبها دون أن يربط الحوادث ، ربطا منهجيا أو يرتبها حسب السنين (1) ، ابتدأ أحداثه بالفتح العربي لبلاد المغرب والأندلس ، في عهد موسى بن نصير ، وانهاه بوفاة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله ، سنة 350 هـ / 961 م ، ويعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا لتاريخ الأندلس في مراحله الأولى ، اذ أنه يحتوي على معلومات دقيقة ومفصلة ، ويتضمن هذا الكتاب ، وقائع وأحداثا في غاية الأهمية ، لا نجدها عند غيره ، وأهم فقراته وأوفرها مادة لموضوع بحثي ، تلك التي تتعلق بدخول طالعة أهل الشام بقيادة بلج بن بشر الى الأندلس ، وثورات المغاربة في جليقية ، والصراع بين البلديين والشاميين ، وبين القيسيين والكلبيين وولاية يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبيدة الفهري للأندلس ، ودخول عبد الرحمن الداخل ، واستيلائه على الأندلس ، وانتصاراته على المناوئين . ولهذا فاني استفدت منه كثيرا ، في جمع مادة هذه الفترة الأولى ، المتعلقة بعصر الولاة ، وقيام الامارة الأموية في الأندلس ، لما يحتويه الكتاب من معلومات غزيرة . وعلى الرغم من توخي هذا المؤلف ، الدقة في الرواية ، الا أنه لا يخلو من التعصب الشديد للجنس العربي عامة ، والتحيز لبني أمية بصورة خاصة ، مما يدل على أنه

---

(1) أنجل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 198 ، 199 ـ تعريب د . حسين مؤنس ، القاهرة 1955 م ، ويرى المستشرق ريبرا أن مصنف هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المؤلفين ، يختلفون طبقة وذوقا وثقافة وفكرا .

عربي قرشي ، وربما أموي ، وجه اهتمامه وعنايته . لاخبار العرب في الأندلس وحدهم ، وأغفل غيرهم من المسلمين ، وقد اختلف الباحثون في تاريخ تأليف هذا الكتاب ، فبعضهم يرى بأنه كتب في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي والبعض الآخر يرى بأنه صنف في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، وقد نشره وترجمه الى اللغة الاسبانية ، المستشرق الاسباني لافونتي القنطره . La Fuente al Kantara في سنة 1867 م .

2 ـ **الرقيق القيرواني** : (أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني) المتوفي في منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م .

ولا نعرف شيئا عن نشأته وحياته غير أنه كان رئيسا لديوان الرسائل مدة تزيد عن ربع قرن من الزمن في البلاط الصنهاجي بالقيروان . وكتابه « **تاريخ افريقية والمغرب** » يقع في عدة مجلدات ، ولا يستبعد أن يكون قد اشتمل على تاريخ افريقية والمغرب منذ الفتح العربي الاسلامي الى عصره ، اذ أن ابن عذاري المراكشي ينقل عنه حوادث سنة 415 هـ / 1024 م .

وقد اكتشف الأستاذ محمد المنوني بالمغرب الأقصى قطعة من كتاب الرقيق ، تشتمل على تاريخ قرن وربع قرن من الزمن ، أي منذ حملة عقبة بن نافع الثانية سنة 62 هـ / 681 م حتى عهد أبي العباس عبد الله ، ثاني أمراء بني الاغلب في افريقية ، أي الى نهاية القرن الثاني الهجري ، وتمتاز هذه القطعة ، بما تحتويه من أخبار كثيرة وتفصيلات مهمة ، اختصرها ابن عذاري في كتابه « البيان » ، فقد أعتنى الرقيق بتحديد الأماكن ، وبلغ به التحري الى ذكر أسمائها باللهجة المحلية المغربية (البربرية) ، والدقة في تاريخ الوقائع والأحداث ، ولهذا فربما تحل هذه القطعة بعض المشاكل ، التي اعترضت محققي كتاب « البيان » وتلقي الضوء على ما تعذر عليهم فهمه .

ويعتبر الرقيق القيرواني عمدة المؤرخين المغاربة ، ويعد عالما حجة في تاريخ افريقية والمغرب ، حيث كان المصدر الرئيسي لابن عذاري (كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م) ، والمصدر المفضل لدى النويري (ت 733 هـ / 1332 م) وابن خلدون (ت 808 / 1405 م) ، والرحالة التيجاني (ت 718 هـ / 1318 م) ،

والحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي ، المعروف بليون الافريقي (ت 939 هـ 1532) (1) .

صنف الرقيق كتابه هذا في منتصف القرن الخامس الهجري / 11 م ، واستقى معلوماته من بعض الاخباريين المشارقة والمغاربة كالزبير بن بكار (259 هـ / 872 م) ، والمدائني (225 هـ / 839) ، والواقدي (207 هـ / 822 م) ، وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي القيرواني (ت 227 هـ / 841 م) ، وغيرهم ، وأحيانا يغفل ذكر المصادر التي اعتمد عليها ، ومؤلفاته كثيرة منها : كتاب « النساء » وكتاب « الراح والارتياح » وكتاب « قطب السرور في الأنبذة والخمور (2) » وكتاب « نظم السلوك في مسامرة الملوك » ، ويقع هذا الأخير في أربعة مجلدات .

وقد استفدت من هذه القطعة ، في دراستي لعصر الولاة في بلاد المغرب والأندلس وحتى نهاية القرن الثاني الهجري / 8 م ، ومؤرخنا هذا رغم كونه سنيا ، لكن لا نلمح على كتابته ، أي تعصب في معالجته للأحداث ، بل اتسم أسلوبه بالصدق والدقة والموضوعية ، والظاهر أنه استفاد من عمله كرئيس لديوان الانشاء ، فترة طويلة من الزمن ، وأتاحت له وظيفته أن يقف على كثير من الوثائق والحبس والمراسلات والتوقيعات ، سواء منها المعاصرة له أو المتقدمة ، والتي قلما توافرت لغيره ، هذا وقام الأستاذ المنجي الكعبي ، بتحقيق هذه القطعة وقدم لها ونشرها بتونس سنة 1968 م.

3 ـ **ابن حيان القرطبي** (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين حيان ، المتوفي سنة 469 هـ / 1076 م .

أجمع الباحثون على أن ابن حيان أعظم مؤرخي الاسلام ، ويعتبر بدون شك حجة مؤرخي اسبانيا الاسلامية والمسيحية في العصور الوسطى ، وعميدهم على الاطلاق ، تتلمذ ودرس على شيوخ كبار ، من محدثين ولغويين ونحويين وشعراء ممن أنجبتهم الأندلس في عصره ، فضلا عن أبيه ، فتفقه ابن حيان واتقن الآداب على هؤلاء العلماء ، ثم انتظم في سلك وظائف الدولة ، حيث عمل صاحب الشرطة أوصاحب المدينة في قرطبة .

---

(1) الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب ، المقدمة ص 8

(2) توجد نسخة فريدة من هذا الكتاب ، بالمكتبة الوطنية بباريس ، وله مختصر بقال ، أنه بين يدي أحد الناشرين في تونس .

ولابن حيان مؤلفات كثيرة تصل الى خمسين مؤلفا ضاع معظمها ، والذي يوجد بين ايدينا حتى الآن هوكتاب :

أ ـ **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** : وهوكتاب يتناول تاريخ العدوة الأندلسية ، من لدن افتتاحها على يد طارق بن زياد المغربي ، الى أواخر القرن الرابع الهجري أي حتى قبيل عصر المؤلف .

اقتبس ابن حيان مادته من مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه ، ولاسيما أحمد ابن محمد الرازي (ت 344 هـ/ 955) وابنه عيسى الرازي (ت 379 هـ/ 989 م) ويبدو أن ماجاء في كتابه هذا عن تاريخ المغرب ، قد اقتبسه من كتاب محمود بن يوسف الوراق القيرواني (ت 363 هـ / 973 م) ، وابن الجزار.

ومعظم مصادر ابن حيان مفقودة ، لهذا فان كتابه ذو أهمية بالغة ، ويعد من المصادر الأصلية لموضوع البحث ، لأنه حفظ لنا مادة تاريخية لمؤلفين معاصرين لتاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، ولعله أيضا اجتهد في الاطلاع على الوثائق الرسمية ، المحفوظة في أرشيف الدولة ، بواسطة والده الذي كان من كتاب المنصور ابن أبي عامر ، ومما يدل على ذلك الرسائل الكثيرة ، التي أورد نصوصها في مصنفاته .

ويمتاز أسلوب ابن حيان بالدقة والضبط ، والتحري في الخبر اذ كان يخضع ما يبلغه الى منظار النقد العلمي ، والنظرة التحليلية الصائبة ، وانه لم يكن مجرد ناقل فقط بل كانت له ملكة نقدية بارعة ، يبدي رأيه فيما يعرض من أحداث ، وقضايا ويبحث عن أسبابها وعواملها ويقوم بمناقشتها عن علم ودرايه وفهم وذكاء (1) حريصا على التزام النزاهة والموضوعية في كتاباته ، وكأنه سبق نظرية ابن خلدون في التاريخ بثلاثة قرون ، الا أننا نجده في بعض الأحيان لا يخفي نزعته الأموية وكراهيته للعناصر المغربية في الأندلس ، واتهامهم بالهمجية في الحروب والتطاول على أولى الأمر ، كما كان يقدح في نسب الفواطم ، ويوجد من هذا المنصف حتى الوقت الحاضر أربع قطع ، ثلاثة منها محققة والرابعة لا زالت مخطوطة تنتظر التحقيق .

1 ـ **القطعة الأولى** : وتتناول الفترة الأخيرة من عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ومعظم امارة ابنه محمد ، تبدأ من حيث انتهت القطعة ، التي اختفت أو فقدت

(1) آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 211 تعريب حسين مؤنس .

من مكتبة المستشرق ليفي بروفنسال ، أي من سنة 232 هـ / 846 م الى سنة 267 هـ / 880 م ، قام بنشرها وتحقيقها الدكتور محمود علي مكي ، في القاهرة سنة 1971 م ، وطبعت مرة أخرى في بيروت سنة 1973 م .

2 ـ **القطعة الثانية** : وتتناول عصر الأمير عبد الله الأموي ، قام بنشرها الراهب الاسباني الأب ملشور أنطونيا Melchour Antuna بباريس سنة 1937 م .

3 ـ **القطعة الثالثة** : وتتناول الجزء الأكبر من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر ، اكتشفت حديثا بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 78 ، وتوجد نسخة منها مصورة « ميكروفيلم » بمعهد المخطوطات بجامعة الدولة العربية في القاهرة ، تحت رقم 208 ، أولها مبتور تبتديء بحوادث سنة 300 هـ / 912 م ، وتنتهي بآخر حوادث سنة 330 هـ / 941 م ، مكتوبة بخط أندلسي واضح ، يرجع تاريخه الى القرن السادس الهجري : الثاني عشر الميلادي ، وتتألف من 186 لوحة بكل واحدة 23 سطرا وبمقياس 20 × 29 سم .

4 ـ **القطعة الرابعة** : وتعالج أحداث خمس سنوات فقط (360 ـ 364 هـ / 970 ـ 974 م) ، من خلافة الحكم المستنصر بالله ، قام بتحقيقها ونشرها الدكتور عبد الرحمن حجي ، ببيروت سنة 1965 ، ولابن حيان كتب أخرى مفقودة مثل « المتين » ، الذي يتناول فيه المؤلف أخبار عصره ، ويتكون الكتاب المذكور من ستين مجلدا ضاعت جميعها ، ولم يبق منها الا شذرات ونتف في ثنايا مصنفات وتآليف المؤرخين الذين أتوا بعده أمثال : ابن بسام ، وابن بشكوال وابن الأبار وابن سعيد ، وابن عذاري وابن الخطيب والمقري وغيرهم (1) ، وله كتاب آخر سماه « أخبار الدولة العامرية » ، وكما هوواضح من العنوان ، فانه يختص بتاريخ العامريين ، وقد ذكره عبد الواحد المراكشي تحت عنوان « المآثر العامرية » ، وألف كتابا آخر ذكرته المصادر بعنوان « البطشة الكبرى » ، خصصه ابن حيان للنكبة الجهورية في قرطبة ، وهي الفترة التي استولى فيها المعتمد بن عياد على مدينة قرطبة ، وطرد منها آل جهور ، وهذا الكتاب آخر ما ألفه ابن حيان ، وهويناهز (85)سنة من عمره . هذا وقد استفدت كثيرا من هذه القطع الأربعة وكان اعتمادي عليها كثيرا في جمع

---

(1) ابن حيان : المقتبس ، ص 116 تحقيق محمود علي مكي

مادة البحث وبخاصة القطعة المخطوطة التي تضمنت مراسلات رسمية بعث بها زعماء المغرب الى الخليفة عبد الرحمن الناصر تشرح سياستهم وأعمالهم أزاء جيرانهم الفاطميين .

4 ـ **ابن الأثير** (علي بن محمدبن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري) المتوفي سنة 630 هـ 1232 م .

يعتبر مصنف ابن الأثير المسمي : الكامل في التاريخ ، من أهم المصنفات المشرقية ، التي تناولت تاريخ العالم الاسلامي بشقيه المشرقي والمغربي ، منذ الخليقة ، حتى سنة 628 هـ / 1230 م ، أي قبل وفات صاحبه بسنتين فقط ، وقد جاء كتاب ابن الأثير مستفيضا ، بأخبار المغرب والأندلس ومرتبا حسب السنين ، كما يعتبر هذا المؤلف من أهم المصادر العربية المشرقية ، وأكثرها دقة في تاريخ المغرب الاسلامي ، اذ أنه اعتمد في جمع مادته على مصادرمغربية وأندلسية ، التي كانت متوفرة في زمانه ، ووجد نفسه انه ينبغي عليه أن ينتخب منها ، ويفاضل بين رواياتها ، ويرجع الى أوثقها كلما أمكنه ذلك ، ويمتاز أسلوب ابن الأثير بالبساطة والدقة والوضوح ، لايجاريه أحد ممن كتبوا قبله وبعده (1) ، هذا وقد قام المستشرق Fagnan بجمع كل مايتعلق بتاريخ المغرب والأندلس من كتاب ابن الأثيرونشره بعنوان : Annales du Maghreb et de l'Espagne du Tarikh d'Ibn Al Alhir, Alger, 1901

ونشر الكتاب كله أخيرا عبد الوهاب النجار ، في تسعة أجزاء بالقاهرة سنة 1353 هـ / 1934 م .

5 ـ **عبد الواحد المراكشي** (محي الدين عبد الواحد المراكشي) المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، القرن الثاني عشر الميلادي .

ولد بمراكش سنة 581 هـ / 1185 م ، وتلقى العلوم الدينية بمسقط رأسه ، ثم بمدينة فاس على شيوخ عصره ، ثم انتقل الى الأندلس حيث درس على كبار علمائها ، وعندما حل باشبيلية صار من جلاس الأمير الموحدي ، والى أشبيلية ابراهيم بن ابي يعقوب ، ومنذ ذلك الوقت ، أصبح عبد الواحد على صلات برجال الدولة ، سواء في بلاد المغرب أو في الأندلس ، وفي سنة 613 هـ / 1216 م ، توجه مؤرخنا هذا الى المشرق ، وتجول في أقطاره ، فزار مصر والحجاز والشام والعراق ، وأثناء

(1) د . السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص 79 دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1967 م .

اقامته في كنف بني العباس صنف كتابه المشهور، وهو « **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** » يعالج تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين ، ويعد مصدرا أساسيا لتاريخهم ، اذ أنه عاصر أحداثهم ونشأ في كنفهم ، ولكنه ضمن كتابه تاريخا عاما للغرب الاسلامي ، منذ الفتح العربي حتى عصره ، فصار الكتاب تاريخا عاما لهذه المنطقة ، لايخلو من فائدة ، لأنه اعتمد في الفترة الأولى من تاريخه على مؤلفات الحميري (ت 488 / 1095) ، المفقودة (1) . وقد رجعت اليه كثيرا في جميع مراحل البحث ، ولاسيما في مرحلة انحطاط الدولة الأموية .

وقام بنشر هذا المؤلف المستشرق الهلندي دوزي سنة 1847 م ، وأعاد طبعه سنة 1881 م ، وترجمه المستشرق الفرنسي فانيان Fagnan الى اللغة الفرنسية ، ونشرت الترجمة بالجزائر سنة 1893 م ، ونشر هذا الكتاب أيضا « في مصر مرتين تحت عنوان » « تاريخ الأندلس » ثم أعاد الأستاذ محمد الفاسي طبعه بمدينة فاس سنة 1938 م ونشرة أخيرا الأستاذان محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي بالقاهرة سنة 1950 ، وطبع مرة أخرى بالقاهرة سنة 1963 م ، بتحقيق محمد سعيد العريان .

6 ـ **ابن عذاري المراكشي** (أبو العباس أحمد بن عذاري) كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م .

وهو مؤرخ مغربي عاش في عصر الدولة الموحدية . وكتابه « البيان المعرب في أخبار المغرب » ، ذو أهمية خاصة ، لأنه يشتمل على روايات مستقاة من مصادر معاصرة لأحداث زمن البحث ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ الغرب الاسلامي على الاطلاق ، لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وما يحتويه من فقرات هامة من مصنفات عبثت بها يد الدهر ، ولم تصل الينا ، مثل كتاب الرقيق القيرواني والوراق ، كما كان اعتماده على البكري ، الذي نقل من كتاب الوراق المفقود ، وكتاب « العبر » لأبي الفياض ، وكتاب صلة الطبري لعريب ابن سعيد . ولهذا جاء كتابه حافلا بمعلومات تاريخية وجغرافية قيمة ينفرد بها دون

---

(1) بالشيا : المرجع السابق ص 249 ، وللحميري مؤلفات كثيرة ضاعت تتضمن الأمور الدينية والأخلاقية والتاريخ والتراجم والسير وفنون الأدب أنظر : الحميري : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، المقدمة ص (ح) الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 م .

غيره من المؤرخين ، والكتاب يتناول تاريخ المغرب والأندلس ، منذ الفتح حتى بداية عصر بني مرين . وقد استفدت منه كثيرا في جميع مراحل البحث ، واعتمدت عليه اعتمادا يكاد يكون كاملا ، ويقع المصنف في عدة أجزاء :

الجزء الأول : وهو خاص بتاريخ المغرب ، منذ الفتح الى ظهور المرابطين .

أما الجزء الثاني : فيشتمل على تاريخ الأندلس ، منذ الفتح الى سقوط الدولة الأموية في الأندلس ، وقد قام بنشرهما المستشرق دوزي سنة 1850 م ، ثم أعاد نشرهما ، ليفي بروفنسال ، مع اضافة . سنة 1930 م .

ويتضمن الجزء الثالث : عصر الطوائف في الأندلس . وقد قام المستشرق الاسباني أوثي ميراندا ، بالاشتراك مع الأستاذين ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت بنشر الجزء الخاص بتاريخ الموحدين ، وبداية عصر بني مرين . ونشر أخيرا نفس المستشرق الاسباني الجزء الخاص بتاريخ المرابطين ، في مجلة هسبيريس Hesperis سنة 1961 م .

7 ـ **ابن الخطيب** (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن الخطيب السّلماني المتوفي سنة 776 هـ / 1374 م .

ولد ابن الخطيب في لوشة Loja وتعلم في غرناطة العلوم الطبية والفلسفية وقد اكتملت مواهبه في الادب العربي ، منذ نعومه اظفاره ، وأظهر براعة فائقة في قرض الشعر وهو حديث السن ، ولم يلبث ان تقلب في شتى وظائف دولة غرناطة ، حتى وصل الوزارة وملك زمام الادارة بها ، نال حظوة خاصة عند ملوك بني الاحمر ، وأصبح وزيرهم الأول ، فنبغ في هذا الميدان سياسيا بارعا ودبلماسيا محنكا ، والى جانب نشاطه السياسي والدبلوماسي ، فقد كان دؤوبا على القراءة والمطالعة في مختلف كتب العلوم والفنون والآداب ، حتى صارت له عقلية موسوعية أحاطت بعلوم ذلك العصر ومعارفه (1) .

وهكذا اختلطت حياته العلمية ، بحياته السياسية ، وافادت كل واحدة منها الأخرى ، فركزه كوزير اتاح له الفرصة للاطلاع على الوثائق والمراسلات الرسمية المحفوظة بقصر الحمراء ، واستخدامها في مصنفاته التاريخية ، والاتصال بسفراء الدول

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 362

المختلفة ومعرفة اخبار اقطارهم وملوكهم ، (1) وكذلك اتاح له وجوده في بلاد المغرب الاطلاع على مؤلفات المغاربة ، والوقوف على معالم بلادهم التاريخية والحضارية ، والاتصال بعلمائه وأدبائه ومؤرخيه ، وقد استفاد من ذلك فائدة كبيرة ،في تواليفه الكثيرة عن بلاد المغرب (2) .

أما فيما يتعلق بمعلومات ابن الخطيب التاريخية التي أوردها فتتميز بالصحة وبالدقة وتكتسي أهمية قصوى لعمقها فقد اعتمد على مصادر مفقودة مثل كتب ابن حيان ، وأما معلوماته عن بني الأحمر في غرناطة فتعتبر مصادر أصلية لأنه عاصر أحداثهم وعاش في كنفهم .

ولابن الخطيب مؤلفات عديدة أخص بالذكر منها ذلك المؤلف الذي يهم بحثي وهوكتاب :

« أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام »

وكما يبدو من عنوانه أنه كتاب خاص بتاريخ الملوك ، الذين تولوا العرش وهم صغار السن ، الا أن ابن الخطيب لم يلتزم بذلك ، وجعله تاريخا عاما للاسلام ، ويتضمن ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : خاص بتاريخ المشرق الاسلامي من السيرة النبوية ، حتى عصر المماليك ولا يزال مخطوطا ينتظر النشر والتحقيق .

الجزء الثاني : يتناول تاريخ الأندلس ، من الفتح العربي حتى عصر المؤلف أي القرن الثامن الهجري / 14 م ، ويتضمن أيضا تاريخا مختصرا للممالك المسيحية الاسبانية الشمالية ، مثل : قشتالة ، وأراجون ، والبرتغال ، فهو تاريخ شامل لاسبانيا الاسلامية والمسيحية . قام بنشره المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال ، بالرباط سنة 1934 م وطبع مرة أخرى ببروت سنة 1956 م .

---

(1) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 362 ، راجع لنفس المؤلف : مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب ، مجلة هسبريس Hesperis 3e, 4e trimestres, année 1959

(2) فيما يتعلق بإقامته في المغرب راجع مقال د . أحمد مختار العبادي : حياة ابن الخطيب المغربية ، ص 54 ، 65 مجلة البينة العدد (1) مايو 1962 م .

الجزء الثالث : خاص بتاريخ المغرب ، من برقة شرقا الى المحيط الأطلسي غربا ، حتى بداية عصر الموحدين ، ويرى الدكتور أحمد مختار العبادي أنها نهاية غير طبيعية ، بالنسبة لأحداث القسم الأول والثاني ، التي وصلت الى عصر المؤلف ، ويعتقد بأن السبب في ذلك يرجع الى مقتل ابن الخطيب قبل أن ينتهي من هذا الجزء الثالث والأخير من كتابه (1) . وقد قام بتحقيقه ونشره الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، بالدار البيضاء سنة 1964 م .

وقد استعنت بما كتبه ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث كما أفادتني تعليقات وتحقيقات هذا الجزء الأخير التي أوردها محققاه .

8 ـ **ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) المتوفى سنة 808 هـ / 1405 م.

ولد ابن خلدون بتونس ، وتعلم فيها على أيدي أساتذة أندلسيين ، هاجروا اليها أما أجداده فأندلسيون من أشبيلية ، وأصلهم من عرب اليمن ، وحياة ابن خلدون السياسية والدبلوماسية ، مشابهة الى حد كبير بحياة ابن الخطيب السالف الذكر ، فقد تقلب في مناصب كبيرة وخطيرة في دولة الحفصيين بتونس ، حتى عرف بالسياسي العاقل (2) ، وتولى منصب قاضي القضاة في القاهرة ست مرات ، تنقل في بلاد المغرب والأندلس ، وكذلك في الأقطار المشرقية ، وكتابه الذي أشتهر به هو « **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** » ، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفت في تاريخ العرب والعجم والبربر منذ الخليقة حتى عصره ، والكتاب موسوعة عظيمة يشتمل على سبعة أجزاء ، الجزء الأول منه هو المقدمة المشهورة ، التي عالج فيها موضوعات شتى ونظريات مختلفة في التاريخ ، على أنه فرع من الحكمة ، ومن ثم لابد من دراسة طبائع البشر والعمران حتى يستطيع الانسان فهم الحوادث ونقضها واستقصاء عللها وأسبابها (3) .

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، القسم الثالث المقدمة ، ص (ب) راجع كتاب د . أحمد مختار العبادي : المراجع السابق ، ص 368 .

(2) انجل ، جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص 260 .

(3) راجع مقال د. : أحمد مختار العبادي : من التراث العربي الاسباني ، في مجلة عالم الفكر ، ص 72 . المجلد الثامن ـ العدد الأول أبريل مايو ويونية 1977 م

أما الأجزاء الستة الباقية فهي عبارة عن تاريخ عام ، يتناول أخبار العرب وأجيالهم ، وأخبار البربر وأجيالهم ودولهم ، وأهم هذه الأجزاء التي تهم موضوع البحث هما الجزءان السادس والسابع ، حيث يتناول ابن خلدون فيهما تاريخ الغرب الاسلامي ، ويمتاز بالدقة والعمق في أخباره عن البربر وقبائلهم وهجراتهم ودولهم (1) ، وتعد ملاحظاته واشاراته في هذا الصدد مفيدة جدا . وبالغة الأهمية ، نتيجة للصلة الوثيقة التي كانت تربطه بالعديد من القبائل المغربية ، وانتقائه المباشر من المصادر التاريخية الأصلية المحلية .

وقد ساعده على تأليف هذه الموسوعة التاريخية ، كفاءته العلمية وتجربته السياسية ، فضلا عن صلاته الوطيدة بعلماء المغرب المعاصرين له ، واتصالاته المباشرة بالقبائل المغربية المختلفة ، واقامته الطويلة بينهم ، وانتقاله بين العدوتين مكنته من أن يصدر حكما صادقا على حوادث ذلك العصر.

وكتابه هذا يعد مصدرا رئيسيا وهاما ، لدارس تاريخ الغرب الإسلامي هذا ، وقام البارون دي سلان بنشر الجزأين الخاصين بتاريخ المغرب والأندلس ، في مجلدين فيما بين سنتي 1848 م ، 1851 م في الجزائر تحت عنوان : Histoire des Berbères, extrait du Kitab Al Ibar Histoire des Berbères ثم ترجمه الى اللغة الفرنسية في ثلاثة أجزاء باسم : ما بين سنتي 1852 ، 1856 م ، وقام دي فرجير بنشر القسم الخاص بتاريخ افريقية والمغرب ، منذ الفتح حتى قيام دولة بني الأغلب في سنة 1841 م ، وطبع الكتاب كاملا في سبعة أجزاء طبعة بولاق سنة 1867 م . وطبع طبعة تجارية في بيروت سنة 1968 م .

9 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس :

اختلف المؤرخون حول صاحب هذا الكتاب ، فالبعض ينسبه الى أبي العباس أحمد ابن أبي زرع ، والبعض الآخر ينسبه الى « صالح بن عبد الحليم الغرناطي » ، وكلا المؤرخين عاشا وماتا بالمغرب ، في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / 14 م ويزعم الباحث رينيه باسيه أن الأسمين لمؤرخ واحد .

---

(1) راجع مقال : إبراهيم فرحات : مصادر تاريخ المغرب القديم ، ص 91 مجلة البينة العدد (5) الرباط سبتمبر 1962 م .

والكتاب يتضمن تاريخ المغرب الأقصى ، منذ سنة 145 هـ /762 م الى سنة 726 هـ / 1325 م ، أي أنه يتناول تاريخ الأدارسة ودولة زناتة (مغراوة ، بني يفرن) والمرابطين والموحدين وبني مرين ، اعتمد صاحب هذا المؤلف فيما كتب على مصادر أغفل ذكر معظمها ، ولعله اعتمد أيضا على وثائق رسمية خاصة ، وقد أفادني بما كتبه عن الأدارسة والزناتيين والمكناسيين ، وعلى الرغم من أخطاء هذا الكتاب الكثيرة ، فقد اهتم به المستشرقون وترجموه الى لغات أجنبية مختلفة ، اذ قام العالم السويدي تورنبرغ Tormberg بطبعه مع ترجمة لاتينية في أبسالا ما بين سنتي 1842 ـ 1846 م . وترجمه الألماني دومباي Dombay الى اللغة الألمانية سنة 1794 م ، وترجمه الى البرتغالية الأب مورا Moura بلشبونة سنة 1828 م ، وترجمه الى الاسبانية المستشرق الاسباني ميراندا سنة 1918 م ، وترجمه المستشرق Beaumier الى اللغة الفرنسية ونشره بباريس سنة 1860 م ، وطبع الكتاب عدة مرات طبعات حجرية في فاس سنة 1885 م ، وقام أخيرا بنشره الأستاذ محمد الهاشمي الفيلالي ، بالرباط سنة 1936 م .

كتب التراجم والطبقات

اعتمدت الى جانب المصادر التاريخية ـ السالفة الذكر ـ على كتب التراجم والطبقات ، وهي مصنفات تقدم لنا صورة واضحة وصادقة ، عن حياة الشعوب والمجتمعات بمختلف طبقاتهم وعناصرهم من حكام وقضاة ، وفقهاء وأدباء ، وأطباء وغيرهم من طبقات المجتمع ، لذلك فان مادة هذه المؤلفات لها فائدة عظيمة في تصوير حياة المجتمع الحقيقية ، وكشف ماقد تزيفه الكتب التاريخية الرسمية الخاصة بتاريخ الأمراء والملوك .

1 ـ ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي) المتوفي سنة 403 هـ / 1062 م .

يعتبر ابن الفرضي شيخ أصحاب التراجم الأندلسية ، ومقرر هذا الفن دونما منازع ، له مؤلفات كثيرة ضاعت ، ولم يبق منها الا ذلك المعجم الذي اشتهر به ، وهو الموسوم « بتاريخ علماء الأندلس » أقدم معجم للاعلام بين ايدينا حتى الآن .

يتضمن في طياته تراجم لعلماء الأندلس وفقهائه ورواته (1) ، الى عصره بلغ فيه ابن الفرضي درجة كبيرة من الاتقان ، فقد كان يتحرى الدقة في الأخبار والتواريخ لدرجة أنه كان يقوم بزيارة المقابر لقراءة شواهد القبور للتأكد بنفسه (2) ، أي أنه كان يعتمد على المقارنة والمشاهدة والملاحظة الشخصية ، فضلا عما اطلع عليه من كتب سابقيه . ويعد كتابه هذا من أوثق ما كتب في التراجم في عهده ، وقد رجعت اليه فيما يتعلق بالتراجم الخاصة ، ببعض العلماء الذين كانوا يخدمون الدعوة الأموية في بلاد المغرب ، ومقاومة التيار الشيعي . نشره المستشرق الاسباني كوديرا ما بين عامي 1891 م و1892 م . ونشره السيد عزت العطار بالقاهرة سنة 1954 م .

2 ـ **ابن الأبار** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) المتوفى سنة 658 هـ / 1260 م .

يعد ابن الأبار من أكبر مصنفي المعاجم والتراجم لرجال الأندلس والمغرب ، كان كاتبا لأمراء الموحدين بالأندلس ، وقد ساعدته هذه الوظيفة على الاطلاع والوقوف على الوثائق الرسمية ، كما ساعدته أيضا كتابته لأبي زكريا الحفصي في تونس وهيأت له أن ينهل من الرسائل والمراسلات الرسمية وأن يجمع منها ما يمكن جمعه من المعلومات التي أعانته في كتابة تواليفه المختلفة ، وهي كثيرة منها : كتاب « أعتاب الكتاب » ، تضمن من شملهم عفو أمرائهم ، بعد الغضب عليهم ، وكان القصد من تأليفه ، هو طلب العفو من أبي زكريا ، الذي حنق عليه ، وله أيضا كتاب اسمه « تكملة الصلة » ، وهو تكملة لتراجم ابن بشكوال ، الخاصة بأسماء الملوك والعلماء الأندلسيين ، مرتبة حسب حروف الهجاء ، نشره المستشرق الاسباني كوديرا بين عامي 1888 م و1889 م ، وقام الاسبانيان : بالنثيا والاركون بنشر ملحق له سنة 1915 م ، ثم نشر الباحث الجزائري محمد بن شنب بالاشتراك مع الفريد بل القسم الناقص من هذا الكتاب ، في المجلة الافريقية Revue africaine سنة 1920م . وله كتب أخرى مثل : المعجم لأصحاب الصفدى ، نشره كوديرا سنة 1884 م .

أما الكتاب الثالث وهو الذي يهمني والذي رجعت اليه فعنوانه « الحلة السيراء » ، ومعناه الثوب المخطط للدلالة على ما يحتويه من تاريخ وأدب وشعر والكتاب عبارة

---

(1) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، المقدمة ، ص 1 الدار المصرية للتأليف والنشر سنة 1966 م .

(2) انخل جنثالث بالنثيا : المرجع السابق ، ص 271 .

عن مجموعة من التراجم ، للأمراء وكبار رجال الدولة في الأندلس والمغرب ، منذ الفتح الاسلامي الى منتصف القرن السابع الهجري / 13 م .

وكتاب الحلة السيراء ، مقسم الى قرون مستقلة تبدأ بالقرن الأول الهجري ، الذي تحدث فيه عن ولاة المغرب والأندلس في هذه الفترة ، ثم انتقل الى القرن الثاني الذي تكلم فيه عن عبد الرحمن الداخل ، وغيره من أمراء العدوتين ، واستمر على هذا المنوال ، الى القرن السابع الهجري أي الى عصره .

وترجع أهمية هذا الكتاب الى أن مؤلفه كانت تحت يده وثائق ومصادر ، على درجة كبيرة من الأهمية ، فضلا عما امتاز به ابن الأبار ، من ملكة نقدية ثاقبة وعاطفة جياشة . ولقد استفدت من هذا الكتاب كثيرا ، لأنه ينفرد أحيانا ببعض الأخبار دون غيره ، كما استعنت بحواشيه وتحقيقاته ، التي أوردها ناشره ومحققه الدكتور حسين مؤنس (طبع في جزأين بالقاهرة سنة 1963) .

الموسوعات العامة

يتناول هذا النوع من الكتب دراسات مستفيضة ، حول الأدب والتاريخ والجغرافية وقد استفدت من الأجزاء التاريخية التي تضمنتها هذه الموسوعات :

1 ـ **النويري** :(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم المعروف بالنويري) المتوفي سنة 733 هـ / 1333 .

وموسوعته الكبيرة « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، تتألف من احدى وثلاثين مجلدا ، طبع منها حتى الآن احدى وعشرين مجلدا ، ولاتزال الأجزاء الباقية من الموسوعة مخطوطة ، ومصورة ، تنتظر النور ، حبيسة خزانات دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم 539 .

وهذه الأجزاء الباقية للأسف خاصة بالدراسات التاريخية ، والذي يهم بحثي منها الجزأين الثاني والعشرين والثالث والعشرين (1) ، والجزءان يتناولان تاريخ الغرب الاسلامي باسهاب ، وقد أعتمد النويري على وثائق رسمية في تاريخ أحداث عصره ، تحصل عليها بحكم المنصب الذي كان يشغله ككاتب للانشاء ، هذا الى

---

(1) هذان الجزءان (22 ، 23) نشرهما المستشرق الإسباني جاسبار ريميرو Gaspar Remiro بمدريد سنة 1917 وهما خاصان بالمغرب والأندلس .

جانب اعتماده على المصادر المغربية والأندلسية الهامة ، التي كانت متوفرة في زمانه ، ولم تصل الينا مثل كتاب ، الرقيق القيرواني .

وكذلك اعتمد على يوسف الوراق ، ومن هنا تأتي أهميته كمصدر أساسي للباحث في تاريخ الجناح الأيسر للعالم الاسلامي ، هذا ورجعت اليه في جمع مادة الفترة المتعلقة ، بعصر الولاة وعصر الامارة الأموية في الأندلس ، واستفدت منه كثيرا في تأكيد بعض المعلومات في مراحل أخرى من مراحل البحث .

2 ـ **المقّري** ((شهاب الدين أحمد بن محمد المقري) المتوفى سنة 1041 هـ/ 1632 م .

مؤرخ جزائري من بلدة مقّرة بشرق الجزائر ، تنقل في بلاد المغرب ، وزار بلاد المشرق ، والقى دروسا في كل من الجامع الأزهر بالقاهرة ، والجامع الأموي بدمشق ، والمسجد الأقصى بالقدس ، وكان المقري معجبا الى حد كبير بشخصية الوزير العالم الغرناطي ، لسان الدين ابن الخطيب ، ولعل اعجابه هذا هوالذي دفع به الى تأليف موسوعة خاصة بحياة هذا الوزير الغرناطي ، عنوانها « **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكروزيرها لسان الدين بن الخطيب** » .

وتتضمن هذه الموسوعة تاريخا لحياة ابن الخطيب ، وآثاره العلمية والأدبية الشعرية منها والنثرية والتاريخية ، لكن المقري لم يقف عند حد ابن الخطيب فحسب ، بل فضل أن يمهد لهذه الموسوعة ، بمقدمة تاريخية شاملة للأندلس ، فصار كتابه الضخم هذا موسوعة عظيمة ، تشتمل على تاريخ الأندلس ، وعلى تاريخ حياة ابن الخطيب وانتاجه الفكري .

غير أن الباحثين يعيبون على المقري عدم التنظيم ، في سرد معلوماته ، ويبدو أنه معذور في ذلك ، لأنه كان في مصر وقت تصنيف كتابه ، بعيداً عن وطنه ومكتبته في بلاد المغرب . كما نص على ذلك هونفسه في مقدمة كتابه .

وتعتبر هذه الموسوعةمصدرا هاما ، وأساسيا للمشتغلين بتاريخ المغرب والأندلس ، وعلى الرغم من كونه مصدرا متأخرا ، الا أنني استفدت منه كثيرا ورجعت اليه في استقاء مادة غزيرة أعانتني في تأكيد المعلومات في معظم مراحل البحث فضلا عن بعض المعلومات التي انفرد بها عن غيره .

وقد اهتم الباحثون بهذا الكتاب ، فنشر دوزي القسم الخاص بتاريخ الأندلس وألحق به فهارس دقيقة ، كما قام الدبلوماسي المستشرق الاسباني باسكوال دي جاينجوس بترجمة ما يتعلق بتاريخ الأندلس من هذا الكتاب ، الى اللغة الأنجليزية ، بعد أن رتبها ترتيبا زمنيا ، وعلق عليها تحت عنوان: History of the Mohammadan Dynasties in Spain, 2 vls

ومعناها « تاريخ الدول الاسلامية في اسبانيا » وكذلك نشر الكتاب كله ، في مطبعة بولاق في أربعة أجزاء سنة 1862 م ، وقام الشيخ محي الدين عبد الحميد بنشره حديثا ، في عشر مجلدات سنة 1949 م ، وللمقري كتاب آخر استعنت به أيضا عنوانه « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» وكعادة المقّري لم يلتزم بتاريخ حياة هذا القاضي (ت 544 هـ / 1149 م) ـ بل تطرق الى مواضيع وأحداث هامة في الأندلس ، أغفلها في كتابه الأول ، وقد قام بنشر معظم هذا الكتاب مجموعة من الأساتذة في ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة 1939 م .

المصادر الجغرافية

وكذلك اعتمدت في بحثي ، على بعض الكتب الجغرافية التي تتضمن أخبار تاريخية لها صلة بالأندلس والمغرب والجغرافيون القدامى ، لا يفصلون بين التاريخ والجغرافية ، بل يعتبرونهما علمين متلازمين يتم كل منهما الآخر ، ولهذا فقد جاءت كتبهم مستفيضة بالأحداث التاريخية ، التي لها فائدة عظيمة ، وفي مقدمة هؤلاء الجغرافيين الذين استعنت بمؤلفاتهم :

1 ـ **العذري** : (أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي) المتوفى سنة 476 هـ / 1083 م .

ألّف العذري كتابا في الجغرافية عنوانه ،« ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك في جميع الممالك » ويشتمل الكتاب على كور عديدة من بلاد الأندلس ، وبالاضافة الى المعلومات الجغرافية التي يتضمنها ، فانه يحتوي على تفاصيل تاريخية خاصة بالكور والمواضيع التي يصفها ، فهو يقف عند كل مكان هام ، ويذكر ويسرد مايتصل به من معلومات وأحداث تاريخية ، وعلى الرغم من اختصارها في بعض الأحيان ، غير أنها ذات أهمية تاريخية ، ولاسيما اذا ماعلمنا بأن العذري كان يستقي مادته من السابقين ، وبخاصة من أحمد بن

محمد بن موسى الـرازي (ت 344 هـ /955) ، وابنـه عيسى (ت 371 هـ / 989 م) (1) ، والمعاصرين للدولة الأموية في الأندلس ، ولهذا فان كتابه يتسم بالأصالة والجدة ، وقد استعنت به في الحديث عن العلاقة التجارية بين المغرب والأندلس وتحقيق بعض الأماكن ، ورجعت اليه لتأكيد بعض المعلومات التي تتعلق ببعض الحملات البحرية ، التي قام بها الأسطول الأندلسي في عهد الناصر لدين الله على الشواطيء المغربية ، والكتاب قام بتحقيقه ونشره الدكتور عبد العزيز الأهواني بمدريد سنة 1965 م .

2 ـ **البكري** (أبو عبيدة الله بن عبد العزيز القرطبي) المتوفي سنة 487 هـ / 1094 م .

يعد البكري من علماء الأندلس ، ويتميز بثقافته الواسعة ، فهو لغوي ومؤرخ وجغرافي وشاعر ، ويعتبر كتابه « المسالك والممالك » من أعظم ما صنفه ، ولكن لم يصل الينا منه سوى الجزء الخاص بوصف بلاد افريقية والمغرب ، والمعروف بعنوان « **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** » . ويتضمن الى جانب المسالك المؤدية الى المدن معلومات تاريخية هامة ، اقتبسها من كتاب ابن عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت 363 هـ /973 م) الملقب بالتاريخي لكثرة انشغاله بهذا العلم ، وترجع أهمية روايات البكري التاريخية ، الى أنها حفظت لنا ماجاء في كتاب الوراق ، الذي لم يعثر عليه حتى الآن ، ولم يقف عنده فحسب ، بل استمر في رواية الحوادث الى عصره ، فقد سجل حوادث يعود تاريخها الى سنة 460 هـ / 1067 م . والبكري دقيق فيما يكتب ، بحيث يحقق الأخبار ويمحصها ، ولا يأخذ بها الا اذا استوثق من صحتها (2) ، حتى فإن بعض المؤرخين في هذا المجال ، بحسه العلمي المرهف وملكته النقدية البارعة ، هذا وقد اعتمدت عليه فيما ذكره عن « ممالك برغواطة وملوكهم ، وامارة بني صالح في نكور ، والأدارسة وحادث احتلال الناصر لمدينة مليلة لانفراده بهذا الخبر » ، وقام البارون ماك جوكين دي سلان بنشر هذا الكتاب وترجمته الى اللغة الفرنسية بعنوان :

---

(1) العذري : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار المقدمة ، ص ج تحقيق د . عبد العزيز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1965 م .

(2) راجع مقال الدكتور حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص 202 صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مجلد 7 ، 8 مدريد 1959 م / 1960 .

Description de l'Afrique sepentrionale par Abou Obeid el Bakri, Paris, 1875

ثم أعيد نشره للمرة الثانية بالجزائر في سنة 1911 .
ونشرت الترجمة الفرنسية له في سنة 1913 م .

كما قام الدكتور عبد الرحمن حجي ، بتحقيق قطعة من كتاب المسالك والممالك خاصة بوصف الأندلس في بيروت سنة 1965 م .